جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم : العلوم التربوية والنفسية

المرحلة : الاولى

مادة : اسس التربية

عنوان المحاضرة الثالثة

((التربية في بعض الحضارات القديمة))

التربية والتعليم في حضارة وادي الرافدين القديم

مدرس المادة

المدرس الدكتور : كمال صالح غضيب

((التربية في بعض الحضارات القديمة))

مع تطور الحياة وزيادة تعقيدها أصبحت عملية التربية أكثر صعوبةً على الوالدين، الأمر الذي أدى إلى ظهور مهنة المربي عبر الزمن، إذ كانت العملية التربوية في العصور القديمة تُمارس في دور العبادة أو في ساحات المدن العامة، إلى أن نشأت المدارس النظامية، ثم ظهرت الكتابة وأخذت الحضارات المتعددة بتسجيل وكتابة أنظمتها وقوانينها الإدارية وشرائعها، فلولا الكتابة ما وصلت إلينا معظم المعلومات الخاصة بتلك الحضارات وبأساليب تربيتها، بالإضافة إلى طرقها المتنوعة في نقل التراث وغير ذلك من جوانب الحياة المختلفة.

بدأت عملية التربية من خمسة آلاف عام قبل الميلاد في العصور القديمة، وامتدت حتى سنة ٤٥٠ للميلاد، أي إلى حين سقوط الامبراطورية الرومانية المسيحية، وهذه الفترة الزمنية مهمة للغاية في تاريخ التربية، إذ بدأ الإنسان منذ ذلك الحين بالتفكير في بناء عدة مراكز للتربية، بالإضافة إلى تأهيل الأفراد وظهور عدد من مدارس الفلسفة التي تُعد أساس الحضارات البشرية لغاية يومنا هذا.

- **التربية في حضارة وادي الرافدين:**

ان حضارة وادي الرافدين تمتد جذورها في المعرفة والتعليم إلى فجر التاريخ حيث بدأ التدوين لأول مرة في تاريخ البشرية في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد.

وغدت حضارة العراق القديم منذ السومريين والاكديين ومن تلاهم تنمو وتتطور بانتظام حتى شعت بنورها ونفوذها في القرون التالية وامتد هذا الاشعاع الى خارج الرفعة الجغرافية التي وجدت فيها فشملت بقايا عديدة في جميع الجهات المحيطة بالعراق القديم والتي وقعت في النهاية تحت هيمنة الثقافة التي ترعرعت في حوضي دجلة والفرات .

لقد كانت ربوع الرافدين مركزاً للثقافات التي انتظمت بشكل فريد ثبت خلاله دقة التنظيم الاجتماعي، حيث انها كانت تضرب بجذورها في الارض، وهذا هو سرها الخالد الذي يتطلبه الوجود الانساني العراقي.

لعب العراق دوراً حضارياً مرموقاً ، ففي بلادنا الحبيبة ظهرت لأول مرة مراكز حضارية زاهية تمتد جذورها الى عصر المعرفة والتعليم في فجر التاريخ في سومر واكد، فقد ظلت ثقافة سومر مزدهرة باستمرار على مدى ما يقرب من (٣٠٠٠) سنة ولم تنحسر وتنكمش هذه الحضارة الا في منتصف القرن السادس في عصر الاخمينيين ثم تلاشت في نهاية العصر السلوقي .

ووضعت حضارة وادي الرافدين اسس علم الفلك ، وعلم التنجيم، وقياس الزوايا واستخدام الاقواس ، واختراع العربات، واختراع الكتابة المسمارية ، وقد وجدت وثائق كتابية مهمة عن حضارة العراق القديم تضمنت معلومات اقتصادية وادبية وقانونية وعلمية واساطير ملحمية وسجلات سياسية يعتز بها .

- **المدرسة العراقية القديمة**

دل مسح النصوص التي يمكن ارجاعها الى (الالف الثالث ق.م) الى وجود مدارس رسمية في وادي الرافدين في فترة تدعو الى الاندهاش ، وهي فترة قديمة تسبق مباشرة ظهور الازمنة البابلية القديمة نحو (٢٠٠٠، ق.م) ، وفضلاً عن ذلك فانه في عصر حمورابي ظهرت مؤسسات تسعى الى نسخ الكتابات، وتعمل على تعليم الناشئة، بحيث انها كانت مزدهرة في طول البلاد وعرضها في وادي الرافدين وفي كل المراكز المدنية المهمة

وردت لفظة المدرسة في اللغة السومرية بصيغة (اي – دوبا) ، وقد ترجمها الاكديون به بيت (توبي اي بيت الالواح) اما الملوك فقد كانوا يتبجحون بما كانوا يتعلمونه من القراءة والكتابة، ويعتبر ذلك شيئاً كبيراً.

يقول أحدهم : ومنذ كنت صغيراً في المدرسة تعلمت فن النسخ من خلال اطلاعي على الالواح السومرية والاكدية ، لم يكن احد من الصبيان يستطيع ان يكتب على لوحة كما كنت افعل ، ففي بيت الحكمة حيث يتعلم الناس كنت استطيع ان اطرح واجمع ، كما كنت ذكياً في العد والمحاسبة ... انا كاتب منفتح ... الست كذلك ؟

لقد كان من حسن الحظ ان تدل المواضع الاثرية المكتشفة حديثاً على بنايات المدارس إذ وجدت فيها كلمات تشير بوضوح بالجهد المضني الذي يقوم به التلميذ الصغير بالكتابة المسمارية المعقدة .

لقد تخرج في تلك المدارس العلماء والباحثون والمختصون في مختلف فروع المعرفة . كما عرفت علوم الجغرافية والرياضيات والحيوان والنبات واللاهوت والتعدين وعلم اللغة فضلاً عن الكتابات الادبية التي امتازت بالأبداع. وكان قسم من الخريجين يمارس التعليم ويعتمد في معاشه على مرتبه . وهؤلاء يقضون جل وقتهم في الكتابة والبحث ، وقد كانت رواتب المدرسين تدفع من اجور الطلاب، ومعنى ذلك ان التعليم كان مقابل اجر، لذا يمكن القول بانه كان مقتصراً على ابناء الاغنياء وعدد قليل من الفقراء ، ذلك لان الاجور كانت باهظة.

اما عن نصيب المرأة في العراق القديم من التعليم فقد وجد من بين الاسماء التي سجلت في مدرسة عراقية قديمة اسماء كاتبات تدوين ، كما أن الاكتشافات دلت على ان كثرة من النساء في العصور البابلية كن متعلمات ولحن شأن في حياة المجتمع واعماله .

- **نظام التعليم والمناهج الدراسية:**

هي من الحقائق البارزة التي يجدر ذكرها عن نظام التعليم في المدرسة السومرية هي ان المدرسة لم تكن على شيء مما يمكن تسميته بالتعليم الحر التقدمي ، فقد كانت (العصا) غالباً التي يلجأ اليها المعلم للمحافظة على النظام. ومع ذلك فقد كان المدرسون يشجعون طلابهم عن طريق المديح والثناء ، لقد كان نظام التعليم ليس سهلاً ، فالطالب لكي يحقق النجاح يجب ان يواظب على دروسه في المدرسة يوميا من الشروق حتى المغيب ، وكان النظام يجيز للطلاب التمتع بعطلة معينة في وقت من اوقات السنة الدراسية ، ان سني الدراسة كانت طويلة ، فالطالب يلازم المدرسة منذ صباه الى ان يصبح شاباً وكان بحاجة الى تعب سنين مرهقة كي يحقق السيطرة على تعقيدات فن الكتابة، وكان نظام المدرسة يتطلب فترة تحضيرية تتخللها الامتحانات ، وامتحانات الاعادة .

وتجدر الاشارة الى ان المدرسة العراقية القديمة عرفت مناهجها الدراسات العليا ، ولما يسمى آنذاك بالتعليم النظامي وكان مكانه المدرسة التي كانت ملحقة عادة بالمعبد الذي يكون

في المدن الرئيسية ، وقد اشتهرت كل مدينة عراقية قديمة بمنهج معين، فقد اشتهرت (اور) بتدريس الطب وعلم الفلك والتنجيم والادب والفن واشتهرت الوركاء بالطب والعقاقير والآداب ، واشتهرت (ايسن ولارسا) بعلوم الرياضيات والفلك ، واشتهرت (مملكة اشنودا) بالتجارة والرياضيات العالية. لقد سبق العراقيون القدامى اقليدس بالرياضيات والهندسة المجسمة بحوالي (١٥٠٠ عام) .

الادارة المدرسية

كان مدير المدرسة يدعى (اب المدرسة) وكان يلقب (بالأستاذ) احتراماً له واذا ما ذكر فانه يذكر بالاحترام اللائق ، وقد جاء في احدى المدائح النموذجية (الاستاذ هو الاله الذي يبني الانسانية).

أما المعلمون فكانوا يتمتعون بمركز اجتماعي مرموق فهم اعلى من الكهنة والضباط " والولاة ويدعى المعلم (اليا) ويعني العلامة او الاستاذ ، ويعتقد السومريون والبابليون ان (الاميا) يعرف كل شيء طالما يعرف الكتابة بالخط المسماري لان الخط المسماري كان مقدساً لان البشر اخذوه عن الالهة ولكنه كان لنوع واحد من البشر هم الاساتذة.

اما التلاميذ فكانوا يسمون انفسهم (ابناء المدارس) وكانوا ايضاً يتمتعون بمكانة محترمة في المجتمع ، وان الاستاذ كان يدعو تلامذته (ابنائي) ويسميهم ايضاً ابناء بيت الرقم ، وهكذا تجمع المدرسة في وادي الرافدين بين عناصر مهمة واساسية : مدير المدرسة ، الاستاذ ، التلاميذ ولكن يبقى الاستاذ مقدماً فقد انشد احد التلاميذ مشيداً بأستاذه :

ايها الاستاذ الله جعل فيك الحكمة

انا عبدك كالدمية ففتحت عيني ونفحت في الحكمة.

لقد ظل الاستاذ مطلق التصرف بالتلميذ ، فسلطته تفوق سلطة (الاب) ورد في احد النصوص المسمارية وصف للأستاذ .

رجل يستطيع ان يفعل كل شيء ؟ انه يفعل ما يريد

اما الشخصية التي تأتي بعد الاستاذ فهي ما تسمى بـ (اداديا) اي (ابو الرقم) ، وعمله التدريس المستمر، وهناك شخصية اخرى تشبه وظيفة المراقب حيث يقوم بمساعدة الاستاذ، ويجب عليه اجتياز مرحلة اعلى من الدراسة بالنسبة للطلاب المبتدئين وواجبه احياناً الانابة عن الاستاذ في تعليم التلاميذ القراءة والكتابة وحفظ النظام في المدرسة ، كما انه مسؤول عن نظافة المدرسة ودوام الطلاب، وهو ينفذ كل تعليمات الاستاذ ، ويوجد ضمن الهيئة التدريسية وظيفة (كاتب) وواجبه كتابة التمارين للتلاميذ بالإضافة الى ان لديه واجباً أساسياً اخر هو الاهتمام بسلوك الطلاب وسمعتهم ومراقبتهم داخل المدرسة .

- **المكتبات :**

كانت المكتبات منتشرة في كل المدن الاقليمية تقريباً، وعلى مسافة متاخمة لكل مكتبة كانت توجد مدرسة للنسخ ملحقة بها ، اما اكبر مجموعة من الالواح فكانت تتمثل في المكتبة الخاصة (باشور بانيبال في نينوى) ، فقد كان الملك مولعاً بالأثار شأنه شأن اي عالم اثاري ، فنظم حملة للبحث عن نطاق الامبراطورية عن الآثار والنقوش القديمة وجمع كل المصادر الثقافية والتاريخية لاسيما في بلاد سومر واكد .

وقد عثر على (٢٥٠٠٠ الف) لوحة سليمة أو محطمة في مجموعة الامبراطور اشور بانيبال ، ومعظم الالواح كانت تعني بالقضايا الاقتصادية والادارية التي وجدت يتضح ان عدد الكتبة الذين يمارسون حزمة النسخ تجاوز الالوف في العهود السومرية .

- **العلاقة بين البيت والمدرسة**

ان الوثيقة المدرسية التي تتحدث عن الحياة اليومية لطالب مدرسة هي واحدة من اعظم الوثائق الانسانية التي اكتشفت في الشرق حتى الآن ، اذ انها تحتوي على مقالة كتبها معلم مدرسة عراقية قديمة جاءت بأسلوب بسيط وكلمات واضحة تؤشر ان التلميذ العراقي حينئذ لا يختلف عن اليه السومري .